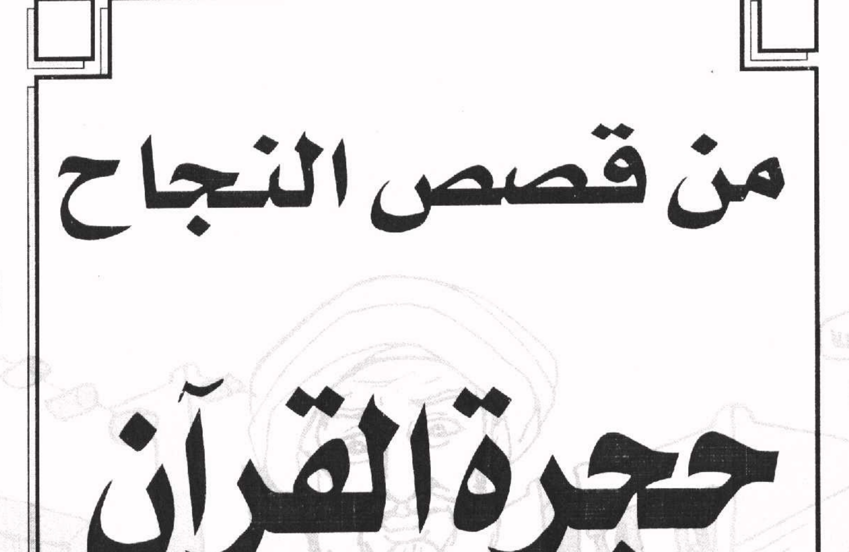
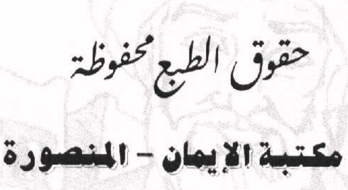


من قصص النجاح

حجرة القرآن

تأليف
فريد محمد معوض

مكتبة الإيمان بالمنصورة



مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

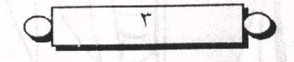
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

حجرة القرآن

بالأمس رأيته في المنام - الشيخ جمعة بشحمه ولحمه - نحيفًا كما كان، وذراعه اليسرى العاجزة منذ الصغر، وقد رفعها إلى صدره ووضع عليها المصحف الشريف، تمامًا كما كان في الدنيا، وأخذ يقرأ بصوت خافت: ﴿**طه (١) ما أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾

هرعت نحوه: سيدنا؟!

تمامًا مثلما كنا نقول له ونحن صغار، ربت الشيخ جمعة على كتفي وقال:



– ماشاء الله ... لقد صرت رجلاً يا ولد.

قلت له:

– يا سيدنا ... لست وحدي، ولكن الكثيرين من أبناء قريتي والذين كنت تحفظهم القرآن الكريم، قد صاروا مهندسين وأطباء ومحامين وأدباء.

تهلل وجه الشيخ قليلاً ثم أطرق، ومرت سحابة في وجهه المضيء وقال:

– كنت أعرف أنكم ستصيرون هكذا...

فمن يتربى على القرآن الكريم، لابد أن يصل

إلى ما يريد... لكني حزين!

- حزين؟... سلامتك يا سيدنا، ما الذي يحزنك؟

- كنت أحفظكم في "الكُتَّاب" فأين هذا الكُتَّاب في قريتنا؟ أين؟ أين؟

ومضى يكرر السؤال، ونبرة الحزن في صوته، ثم استدار ومضى، مضى سريعًا من أمام عيني.

مضى الشيخ جمعة كطيف جميل، هرعت خلفه، كنت أود أن أمسك به وأسأله المعذرة،

لكنه اختفى.

كم أحـــبـــه وهو يردد يــوجــهنا: اقـــرأ يا ولد... قف... ابدأ من أول: ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ** ﴾ [يس: ٧٩].

ونحن نقرأ، وترى الحجـرة الواسعة مكتظة بنا نحن الأطفـال، تتـداخل أصـواتنا، نشكل خلية كبيرة، والشيخ جمعة بيده عصا من جريد النخل، شقها لتصبح هينة لينة على الرأس:

– العـصـا لمن عـصـى يا ولد... اقـرأ من أول: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ** ﴾ [البلد: ٤].

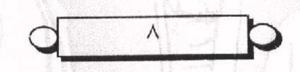
ونقرأ، ونقـرأ، والشيخ جـمعة يهـز رأسه ويتابع، حتى إذا سمع لفظة تئن أشار بعصا من جـريد النخل حتى تستـقيم اللفظة، والشـيخ جمعة إن سار في أي مكان تبـعته العيون بحب وإكـبـار، وهو يمضـي والمصـحـف على يده العاجـزة، يتمتم حـتى إذا ما قـابله أحد بادره بالسلام، وغالبا ما يستـوقفه أحد كي يسأله في مسـألة فقـهيـة أو يوصيـه خيـرًا بولده فيـقول الشيخ:

- لا فرق بين زيد وعبيد... لابد أن يحفظ

الجميع القرآن الكريم.

ويمضي متمتمًا، تبدو السماحة على وجهه، كان طيبًا، وكان رائعًا، وكان الشيخ جمعة يتركنا ننصرف من الكُتَّاب قبل أذان الظهر بدقائق، أما أصحاب الحمير فكان يتركهم يذهبون قبل الظهر بربع ساعة.

وأصحاب الحمير هم الأولاد الذين أتوا من القرى والعزب المجاورة ممتطين الحمير كي يتعلموا القرآن الكريم، على يد الشيخ جمعة، الذي يعرفه الجميع.



وكان أصحاب الحمير في عودتهم يبدون كقافلة كبيرة، يحملون المصاحف والألواح والكراسات، يمضون في وسط الحقول الخضراء ويقرؤون معًا بصوت عال، ولا يجرؤ أي حمار على النهيق، فالقرآن الكريم يُتلى وصوت الحمار هو أنكر الأصوات، مشهد رائع يتكرر كل يوم؛ فتتمايل الأشجار وأعواد الأرز وأوراق أشجار القطن، كلهم في حالة فرح عارمة، وكأن كل شيء في الطبيعة كان يشارك أصحاب الحمير في التلاوة، ذات يوم كنا نردد خلف

الشيخ جمعة بـعض الأذكار «سبوح ... قدوس، رب الملائـكة والروح». حين دخـل علينـا عم فـارس، كـان عـاري الرأس، ملطخ الثـوب، وبوجـهه جـروح، وكف الشـيخ جـمعـة عن التسبيح، واتجه نحو عم فارس:

- ما الذي أصابك يا فارس؟

- أغثني يا رجل القرآن، جاري هدم داري أثناء قيـامه بهـدم داره وحين عاتبتـه توغل في داري وزعم أن له حقًّا فيها.

- لكننا نعـرف أنها دارك، ومـا أنت الذي

يأكل حق الآخرين.

قال فارس:

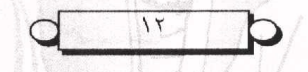
- أجرني يا رجل القرآن والدين.

وأسند الشيخ مهمتنا للعريف، وخرج مع فارس، كان الغضب باديًا على وجه الشيخ، وكلما قابله أحد ولمح على وجهه الغضب تبعه في صمت، وهكذا بدأ الناس يتكاثرون خلف الشيخ جمعة، وظهر على ملامحهم الغضب، إنهم يعرفون أن الشيخ لا يغضب إلا للحق، ومادام قد ظهر الغضب فلابد أن هناك ظلمًا قد

وقع، وليس غـالبًا علـى الشيخ بل على أحـد المستـضعفين، بدا كل شيء في مـوكب الشيخ جـمعـة حزينًا ... حـتى الشـمس والطرق في امتدادها والأطفال في لعبها.

وصل الشـيخ جـمـعـة وخلفـه الناس إلى هناك، نظر فوجد ما لا يصدقه عقل... أنقاض البيت مكومة والنخلة الخضراء التي كانت تتقدم البـيت قد مـالت على الأنقـاض، قال الشـيخ بصوت عال:

- اتق الله يا جـبار، فليس من الكرامـة أن

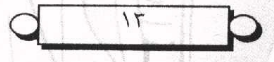


تتعدى على حق الجار.

رفع جبار يده بالفأس وأراد أن يهبط بها على رأس الشيخ جمعة الذي كان يقف كحرف الألف دون خوف، غير أن الناس الذين كانوا يقفون خلف الشيخ انتفضوا، وفي لمح البصر كانوا قد أخذوا منه الفأس، وهموا أن يقتلوه غير أن الشيخ جمعة صاح في الجموع الواقفة:

- ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾.

وسكنوا جميعًا، صاروا وكأن الطير على رؤوسهم وخشعت قلوبهم، لقد انتبهوا أن



الشيخ جمعة يتكلم، وإذا تكلم رجل القرآن وجب علينا أن نفتح القلوب والآذان.

وقال الشيخ:

- أعيدوا حق فارس كما كان... بالحق والهدىٰ كما علمنا القرآن الكريم.

وبدأ الجميع يعملون، أعادوا حق فارس، ودفعوا الأنقاض بعيداً كي يستطيعوا أن يعيدوا البناء، وما أن انتهوا من ذلك حتىٰ قال الشيخ جمعة:

- هيا إلىٰ الصلاة، فقد حان موعد صلاة

الظهر.

كان منام الأمس رائعًا غيـر أن الشيخ جمعة لم ينتظر طويلاً، لقـد مضى، قلت له: تـعال إلينا ثانية.

قال: إن المشيئة لا تسمح.

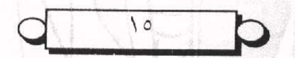
قلت له: خذني معك.

قال: إن المشيئة لم تسمح.

قلت له: نلتمس منك النصح.

قال: إذن عودوا إليها.

قلت: إلى أي شيء نعود؟



قال: إليها ... إلى حجرتي التي علمتكم فيها واجعلوا القرآن الكريم يدوي وسوف ترون.

قلت: سوف أخبر الجميع يا سيدنا بهذا الأمر ... سنعود لحفظ القرآن إن شاء الله.

ابتسم سيدنا وهو يودعني قائلاً:

- فليحفظكم الله ... يحفظكم الله.

